هموم عابد

أ.د / شحات حسيب الفيومي

أستاذ التفسير ووكيل الكلية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

همـــوم عـــابد

كل من نزل إلى هذه الدنيا وعاش على الغبراء ودرج عليها ، كابد هموم حياته فحين يتخلَّص من شَرَكٍ يقع فى أشراك . هموم كثيرة وهذه سنة الحياة قال تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) (١) .

وتتباين الهمومُ البشرية من شخص إلى آخر . ومن نوع إلى أنواع كثيرة . فإنسان يعيش فى همٍّ يتعلق بعيشه . وآخر تجذبه هموم ترتبط بزوجه وأولاده . وواحد تعصف به الهموم لمرضه أو مرض واحد فى أهله . وآخر يرى أملا فى حياته فيشق سبيله مصاحبا لهمومه .

وكل واحد يرنو إلى غاية يتلألأ وميضها فى عينيه فتكبِّله الهموم . فما من أحد من الخلق إلا ويعانى من الهم . أما العابد الذى نحن بصدده فلا تعنيه هموم نفسه . بل أزعجته هموم أمته الإسلامية التى أصبحت فى غاية القزامة وانحط مقامها على البسيطة . فالخواء يأكل قلوب أبنائها والحيرة تهدر روحها المتعبة . لأنها ضلت عن منهج ربها ومالت عن رسالة رسولها . المتمثل فى القرآن والسنَّة . فلم تسع إلى تطبيق شرع الله . فانطمست روحها وانتكست. فوقعت فى أوحال الحياة ، وتخبطت فى دياجير الظلام . فلا تجد النور الذى يكشف لها غاية وجودها بين الأمم . وبعدم تطبيق شرع الله فقدت المنهج الذى ينسِّق حركة حياتها . فأطبق الغبش وصارت راية النجاة غير واضحة فى جو كهجير الصحراء

(١) سورة البلد آية ٤

المحرق. وأصبح أمل الغارقين فى المستنقع بعيدا وتظل على هذا الحال إلى أن يهدى الله قادة هذه الأمة فى كل بلد إسلامى فيجمعوا شعثها ويضطلعوا بالأمانة الضخمة التى نيطت بهم فهم يُسألون يوم القيامة عن رعيتهم وعن مواجهة أعداء أمّتهم .

حديث عن العابد :

هو الابن الوحيد لأبويه . حفظ القرآن فى «كُتّاب» الحى الذى يضم منزله دخل الأزهر . وتدرج فى الدراسة . بيد أنه لم يحصل على شهادة . لأنه شاهد المظاهرات الطلابية التى كانت تهتف بسقوط الحكومات ورحيل الإنجليز عن أرض الكنانة . خاف عليه والده وأمره بالعودة إلى بلده . فَسُدَّتْ فى وجهه منافذ الحياة إلا نافذة السماء . فانصاع لأمر أبيه . وطفق يعمل فى تجارة «المنيفاتورة» أى الثياب فكان يأتى بها من شارع الحمزاوى الذى يذكّره بالدراسة في الأزهر وكلما ذهب إلى القاهرة وتجوّل بين حوانيت الحمزاوى تذكّر الأيام الخوالى فجرت تيارات الحب فى دمائه . وحن لمعشوقه ولمجالس الفقه والنحو والتفسير والحديث وغيرها من العلوم المصاحبة للكتاب والسنة . ويرجع بالثياب حاملا بين جوانحه نيرانا أوقدها التردد على القاهرة . ويعود ليضع الثياب فى حانوت أبيه ويشرع فى بيعها ويساعده عاملان . ويجلس على الباب ليقبض الأثمان ويعقد الصفقات ولهذه التجارة مواسم فيزدحم الناس عليها فى يوم سوق بلدتنا من كل أسبوع وفى موسم «جنى القطن» وفى

الأعياد وماعدا ذلك يَقِلُّ المترددون عليه فهذه المهنة تركت لديه فراغا م
الوقت . شعر بجوع فكرى وعطش عقلى وصغرت الدنيا فى نظره حتم
صارت بلده هى الدنيا والخَلقُ أهل تلك البلده . فضاقت عليه الأرض بم
رحُبت فأحس أنه سلك نفق النهاية فأظلمت الدنيا فى عينيه . وحلَّ الغسق
مع عدم أفول شمسها . وشرعت تيارات الهواجس المختلفة تجرى في
محيط خواطره . وفى يوم أربعاء مرَّ رجل كبير فى السن غريب عن البلد
. يحمل فوق رأسه جوالا ويؤم السوق . فأدرك العابد أنها كُتب . ناداه
فحطَّ الرجل حِملَه وسأله ما اسمك ؟ قال : عبد الحميد . قال : من أى
القرى ؟ قال : من سبك الأحد. قال له : بلد الشيخ محمود خطاب ؟ قال :
نعم . قال أرنى هذه الكتب ؟ فوجد صحيح البخارى وصحيح مسلم
وتفسير ابن كثير والرازى . والزمخشرى . فأمعن النظر فيها فسطعت له
جواهر كريمة نادرة . وشعر أن الدنيا أشرقت وأن هذه الكنوز ستحول
بينه وبين الموت الفكرى . وأنها ستسد جوعه الثقافى . وتروى ظمأه
العقلى . ويرى الدنيا على ما هى عليه . وتحمله إلى آفاق بعيدة تكون
عوضا عن بعده عن الأزهر . فاشتراها من الرجل وجعل لنفسه جدولا
وقسَّم أوقاته فجعل وقتا لعمله . ووقتا لقراءته و وقتا لعبادته . و وصى
الشيخ عبد الحميد بأن يأتى له بكل كتب المعرفة ومكث سنين يقرأ ويحفظ
ويستزيد حتى صار موسوعة علمية وأصبح الأمير فى ميدان العلم فى
بلده . إليه يرجع العلماء والأدباء .

عرفتى بالعابد :

كنت فى المرحلة الإعدادية وذهبت إلى المسجد لتأدية صلاة الظهر ، نصلّى الناس خلف إمام المسجد . ونسى التشهد الأول وقام للركعة الثالثة فجلس فريق وقام مع الإمام فريق آخر . فسبّح الجالسون لينبهوا الإمام على التشهد الذى تركه . فعاد الإمام ليدرك التشهد المتروك وعاد من قام معه وبعد فراغ الإمام من الصلاة كثر اللغط والصخب وارتفعت الأصوات فى أرجاء المسجد . وأوى الشيخ العابد إلى سارية من سوارى المسجد وآثر الصمت ، وتحلق المصلون حوله وسألوه عن حكم ما وقع فى صلاتهم بعد أن غرق الإمام فى بحر تلعب به الأمواج . وينظر إلى العابد نظر المغشى عليه من الموت . فصاح العابد اذهبوا بعيداً عنى . وقال إن الإمام سيفتيكم ونأى فى حجرة للمسجد فأفهمه فتوى هذه المسألة وخرج الإمام ودعا الناس إلى إعادة الصلاة ولم يشعر الشيخ بحرج ولم ينبس العابد ببنت شفه ، وبعد مرور أشهر قلت له : أنت الذى أوحيت إلى الإمام بإعادة الصلاة ؟ قال : نعم . وهذا سر بيننا . ثم قال : إن الإمام أخطأ لأنه لا يجوز أن يعود إلى السنة وهو التشهد الأول بعد التلبس بالفرض . والفريق الذى جلس بطلت صلاته لأنه خالف الإمام بعد قيامه وعند عودة الإمام إلى التشهد بطلت صلاته وصلاة من تبعه فصلاتهم جميعا باطلة .

ومرة أخرى رأيت جماعة يعرضون مسألة ميراث عليه . فأفتاهم فقالوا

ذهبنا إلى فلان فأفتانا بغير هذا . فقال لهم اذهبوا إليه غداً وسلوه مرة أخرى . وأرسل إليه وأخبره ببطلان فتواه وأخفى ذلك فأتى الناس الإمام مرة أخرى . فعدل عن فتواه وأفتاهم بما أفتى به العابد . بعد هذا شرعتُ فى التقرب منه لسؤاله عن كثير مما يرد على خواطرى فى الثقافة الإسلامية والعربية فكان يجيبنى فإذا رآه الناظر خاله بحراً ينهل منه أهل البلاغة ويعل منه أهل الفقه . ويرتوى منه أهل الحديث ويَرِد موردَه أهل التفسير ويصدر عنه كل وارد وقد روى ظمأه وملأ قربه .

قال لى وقد حملت كتابا ألفه أحد أساتذتنا فى «كلية أصول الدين» فى القاهرة فأخذه وتصفحه ساعة وأنا أحتسى الشاى بجانبه ولما فرغ من تدبره قلت له : يا سيدى تريد الكتاب ؟ قال : لا .

ثم قال " "إذا أردتَ يا بنى أن تمتح (١) فامتح من البحر ولا تمتح من الجدول" . ولم أدر معنى كلامه إلا بعد مرور ردح من الزمن . وفى العطلة الصيفية زرته فدفع إلىَّ كتاب «تدريب الراوى» فعرفت أن أستاذنا قد أخذ كتابه من «تدريب الراوى» ولم يعزُ ما كتبه إلى الإمام جلال الدين السيوطى .

شخصية العابد :

حليم فى نفسه غضوب لربه إذا انتهكت حرمة زأر زئير الأسد . يضحك

(١) متح : يمتح : من باب نفع والمصدر المتح : وهو الاستقاء . المصباح المنير ص ٥٦٢

ويَعبِس . فى خلقه لين . يكره الغيبة وتثير حفيظته النميمة . يصرِّح بالعيب وصاحبه حاضر . فإذا غاب لا يذكره . لا يخاف فى الحق لومة لائم . يتلو القرآن كثيرا . وربما يقرأ القرآن كله دون أن ينظر فى المصحف . يكثر من صلة الأرحام . يحب عشيرته الأقربين . يخاف من إظهار الصدقة . لا ينطق بلغو . يحب الحياة . ويخشى المرض . كأنه جزيرة قائمة بنفسها فى محيط الدنيا .

عزلة من فساد الناس :

مرت سنون ولم ألتق به ولكن كنت أتحسس أخباره من أحفاده فلقد حالت الغربة عن أرض الكنانة بينى وبينه وعند عودتى واستقرارى سألت عنه فقالوا إنه طلب الإقامة على شاطئ نهر النيل فى منزل ورثه عن أبيه . وترك أولاده لأن أولاده شقوا طريقهم بأسرهم وهجروا بلدتهم إلى العاصمة غير واحد آثر البقاء معه .

لقاء بعد غياب :

ذهبت إليه حتى أراه فعندما رآنى قال : سبحان الله . تذكرتنى بعد هذا الزمان ونظر إلىَّ بحدقة تسطع بالعتاب . كدت أغيب فى موضع قدمى من الحياء والخجل . فلما أحس ما بى استدرك وقال : إنى أعذرك فلقد جذبت الحياة إلى أعماقها كل البشر وغرقوا فى مشاكلها . فأصبح كل واحد يعالج شَرَكه . وكل مشكلة تلد مشاكل كثيرة .

سر عزلته عن دنيا الناس :

سألته بعد أن أجلسنى بالقرب من صفحة ماء النيل ما سر عزلة الشيخ ؟ قال رأيتنى وأنا فى هذا السن وفى نهاية خريف العمر كأننى كأهل الكهف تغير الناس وتغير سلوكهم . خالفوا الله ورسوله ويظنون أنهم يطيعونه . والمتأمل فى سلوكهم يخالهم يحادون الله ورسوله ويفعلون أمورا يحسبونها هينة وهى عند الله كبيرة . فملت قربهم وسئمت وصالهم ففررت إلى الله كما قال تعالى (ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين) (١) ففررت إلى الله خائفا من الناس . ولاغرو فالرسول صلى الله عليه وسلم وجهنا كيف نتعامل مع الفتن فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتَّبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) (٢) .

والرسول صلى الله عليه وسلم جعل المعتزل للناس خوفاً من الفتن من أفضل الناس فعن أبى سعيد الخدرى قال (قال رجل : أى الناس أفضل يا رسول الله ؟ قال : مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله . قال : ثم مَنْ ؟ قال : ثم رجل معتزل فى شعب (٣) من الشعاب يعبد ربه . وفى رواية «يتقى الله ويدع الناس من شره») (٤)

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٠

(٢) صحيح البخارى جـ ٩ ص ٦٦

(٣) الشعب : بكسر الشين : الطريق فى الجبل أو ما انفرج بين جبلين .

(٤) صحيح البخارى جـ ١١ ص ٢٨٤ .

همومه الاجتماعية :

قال لى سعت أمريكا وأوربا بعد انهيار دولة الإلحاد والكفر وهى ما يسمى بالاتحاد السوفيتى سعتا إلى عولمة العالم وجعله قرية صغيرة . وبهذا يسهل عليهما قيادة العالم والتحكم فى اقتصاده . فيزدادون غنىً وتزداد الدول الفقيرة فقرا . وهذا استعمار فى ثوب جديد وفى ظل عصر التكنولوجيا ازدادت التعقيدات وعصف بنا القلق واضطربت حياتنا وحلت بنا الأمراض التى لم نكن نعرفها .

سكت ولم أنطق حتى استمتع بحديثه العذب وتفكيره الثاقب وإيمانه الذى أورثه فراسة تكشف له خواطر من يسلّم عليه . قال لى : كانت حياتنا ونحن طلاب سهلة ميسرة وكانت مطالبنا ومشكلاتنا الاستقلال ورحيل المحتل ويترك الإنجليز بلادنا إلى بلادهم . أما شباب عصرنا الآن فمشاكلهم عظيمة . ورزاياهم أليمة . ونوازلهم فاقرة . يسلك الشاب طريق العلم ويريد أن يعيش فى سناه وعندما ينتهى إلى الغاية والشهادة يجد نفسه بعد عمر طويل كان يتقلب بين مراحل التعليم المختلفة ويسهر الليالى فيجد نفسه أنه كان فى نفق مظلم ليس فى نهايته ضوء ولا أمل . لا يستطيع أن يستقل عن أسرته . لأنه لا عمل له . فالطفل الذى أخطأ طريق العلم وتعلم مهنة أفضل منه . ويظل عبئا على والديه لا يجد عملا بشهادته يأكل منه أو يبنى حياته الأسرية فلعنة الله على الخصخصة التى ساقت الشباب إلى المخمصة . وأصبحت مطالبهم الغذاء والكساء والإيواء

والحسناء . وهيهات هيهات وأنى لهم ذلك . وهم لا يجدون أعمالا تتفق معهم . لقد انصرف أكثرهم إلى البيع فى الأسواق على عربات خشبية . وبعضهم يوزع أنابيب غازية . ومن يعرف طريق الوظيفة فعليه بالنقدية . فيجمع منها الفتات . وهيهات الإيواء والحسناء . فأصبح الزواج وصداقه بين النجوم .

وهذه السياسة المفروضة على عالمنا والتى وضعتنا فيها أمريكا وأوربا لها مقدمة ونتيجة أما مقدمتها فهو التقليل من شأن العلم ونتيجتها أمية الشعوب حتى تستطيع أمريكا وأوربا أن تسوق الشعوب إلى أهدافها .

والناس فى خضم الحياة أجادوا تغيير أنفسهم وجلودهم على حسب الأحوال والظروف ، فمنهم من أصابه الجوح الدنيوى فجمع المال من طرق تغضب ربه فجمع الملايين . وهذا صنف لا يشبع أبدا حتى يدق الموت عنقه . ومنهم من استهواه التمثيل على عباد الله ولبس مسوح الضأن وينحنى لأصحاب النعم حتى ينال منهم ومن العجب العجاب أن ترى ملائكة الرحمة كما سُمُّوا فى الماضى وهم الأطباء تراهم جزارين للجنس البشرى بيد أن القصابين ينحرون الأنعام وهم ينحرون البشر ويبالغون فى سلخ البشر ما بين الإشاعات والتحاليل . وقامت بينهم وبين المعامل مصالح دنيوية .

صرَّح لى أحد الأطباء الصادقين أن زوجته تعمل طبيبة نساء وتوليد تأتيها المرأة الحامل فتصبر عليها حتى تلد ولادة طبيعية دون تدخل

جراحى وأتعابها مائة جنيه . زارتها زميلة لها وهى زوج لطبيب نساء قالت لها إن الولادة عندنا لا تكون إلا قيصرية . أتعابها ألف جنيه وبنوا من تلك الجزارة عمارتين وشوهوا بطون نساء بلدتنا مما يجعل الحمل والولادة صعباً بعد ذلك .

وفريق آخر صاروا أباطرة وهم أصحاب الدروس الخصوصية وصلت الساعة إلى أربعين جنيهاً فى مادة الفيزياء ودع بقية المواد وعلي رأسها مادة الإنجليزى فيحجزون عند أباطرتها من شهر أغسطس بعد ذلة أولياء الأمور ومراودة الأباطرة . وأعلنت وزارة التربية والتعليم الهيعة الشاملة على الأباطرة فانتصروا عليها وغيَّروا جلودهم وسلوكهم فلم تملك الوزارة إلا أنها لعقت جراحها وسلَّمت بالهزيمة النكراء . ونظرت الوزارة بغبطة على دخولهم والهزيمة الساحقة لأولياء الأمور .

وبعد نتيجة الامتحانات فى الثانوية العامة تسمع أصوات الصراخ وتنهمر الدموع فى كل بيت حتى الذين حصلوا على خمسة وتسعين بالمائة . أغلقت كليات القمة أبوابها دونهم .

إن هذه الكارثة دعوة للاتجاه إلى الجامعات الخاصة والتى يذبح فى حرمها أولياء الأمور ويسلخون . مما يترتب على ذلك صرف الناس عن العلم وآلامه وضياع طلابه فى هجير صحراء الحياة . وأصبح الجهلة ينعمون بالأموال والطعام والترف وأهل العلم فى شقاء وفقر .

وأصبح الناس فى كل ميادينهم العملية وحوشا ضوارى . وعن الأنفاق

المظلمة أقصد الإدارات الحكومية فإن من يدخل دروبها يصاب بالشقاء واليأس ولاسيما المحليات بإداراتها الهندسية والزراعية و وزارة العدل وغيرها فمن لم يعرف خبيرا بدهاليزها يمشى على الأشواك ودون أن يظهر له نور فى آخر النفق فلا يصل إلى حاجته إلا بشق الأنفس أو لا يصل إلى حل . ويبدو أن القوانين تطبق على العامة . وتقضى حوائج الخاصة . وخاصة الخاصة يأمرون . وينهون . وعلى مناصبهم يتوكلون ، وعلى القوانين يدوسون .

سلوكيات فاسدة :

إذا خالطت الناس وتعاملت معهم لا تجد إلا سلوك اللئام وألفاظ البقام تكدّرت عذوبة الألفاظ . وعمّ سلوك الأجلاف . وصارت الكلمات الجارية على الألسنة من مستنقع نتن تطرق الأسماع من وسائل الإعلام . بالإضافة إلى موت الاحترام المتبادل بين الأفراد والطبقات . والكبار والصغار . اختفت كلمة «آسف» من قاموس المخطئين ودارت على الألسنة ألفاظ الشياطين . الأحاديث بين الناس يعتريها الغضب والصخب دون سبب . وانقلبت الموازين . وركب الجهلة «المرسيدس والأبل والبيجو والشبح والبودرة والليموزين» وجرى أهل العلم والشرفاء وراء «الباس» مسرعين . ويصلون إلى بيوتهم واقفين . وأهل الجهالة فى سياراتهم متكئين . ومن جهة أخرى انصرف كثير من الناس إلى ميدان التجارة ، فهم يجدون فيها أهدافهم . ويحققون فيها آمالهم ، وطموحاتهم . وهو

ميدان له قوانينه من جشع وغش وكذب وروغان . وأيمان غموس . ولا يملأ أجواف هؤلاء إلا التراب لا يقنعون بالقليل فصاروا بلغات ميدانهم حيتانا وفيلَةً وقططا سمانا ونمورا .

موت الضمير :

ماتت الضمائر وفسدت السرائر وانصاع كل واحد لهواه . لا دين يحكمه ولا ضمير يردعه . وخرجت الذرارى إلى الوجود مقلدةً الآباء والأمهات فورثت السلوكيات التى تميت الضمائر وتقتل الأخلاق وتضعها فى إطار مادى دنيوى يبعدها عن ربها . ولا يلفت انتباهها إلى يوم القيامة ودواهيه من بعث ونشر ووقوف فى المحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار .فإذا لم تنهل الذرية من ينبوع الدين . ولم تكتسب من بيئتها حسن الخلق فانها تنمو بلا ضمير فيكون فى ذلك حتفها فى دنياها . وخسرانها فى أخراها .

إستعمار حديث وصليبية جديدة :

تتسع رقعة الأرض الإسلامية على البسيطة وتكثر عليها المجتمعات التى تعج بالأفراد ولقد أنعم الله على العرب من بين المسلمين بثروات طبيعية يندر وجودها فى البقاع الأخرى من الأرض فيجرى فيها نهر النيل ودجلة والفرات وأنهار أخرى وفجَّر الله أرض الخليج العربى عيونا بالبترول وكذلك بقية الأقطار العربية وثروة البترول أثمن من الذهب . فالذهب للحلى والكنز والبترول به تسير حركة الناس بالسيارات والقطارات

والطائرات والميكنات فهو أغلى فى الحقيقة من معدن الذهب وامتلأت خزائن البترول بالمال الذى جلبه لهم فصارت هذه البلاد تتقلب فى الترف . يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله بل تعدت منزلة الكفر إلى استخدام هذه النعم فى معصية الله بدلا من أداء شكرها . فانتشر الزنا وظهرت تجارة الرقيق الأبيض على مستوى دولى . فالنساء الفاتنات يأتين من كل حدب وصوب . وانتشرت الأفلام العارية ،الأفلام الفاضحة . وعاث شباب هذه الدول فسادا ، وفتحت الدول الفقيرة وجميع الدول المطارات فى الصيف لأنهم أغنياء وسينفقون أموالا طائلة فى تلك البلاد وشعر أغنياء البترول بالغنى المطغى واعتقدوا أنهم يتميزون على إخوانهم الفقراء المسلمين بأنهم شعوب الأسياد وغيرهم من المسلمين عبيد . وبدلا من إيداع الأموال فى بلاد الإسلام لتعميرها والاستثمار فيها حملت إلى بلاد الكفر فى أمريكا وأوربا فكان ذلك كالمثل العربى «معزى حملت حتفها» فعمروا بلاد الكفر وتركوا بلاد الإسلام خربة فقيرة فقويت شوكة أهل الكفر ومن العجب العجاب أننا نجد سفيها من هذه الدول يتبرع بعشرة ملايين من الدولارات لمستشفى فى أمريكا وآخر فى لندن . ركثر هذا السفه الذى يدل على تجرد صاحبه من الإيمان وعدم انتمائه إلى الإسلام. و وقوعه فى أحضان أولاد العم سام . أهذه أمه ؟

كل هذا وأنا استمع إلى حديث العابد فسكت قلت له «هيه يا سيدى» فقال ثم كانت الكارثة . أن أعداء الله لم يكتفوا بأموال المسلمين الأغنياء بل طمعوا فى السيطرة على منابع البترول فقام شقى من أشقياء هذه الأمة

فاحتل دولة الكويت وكانت ذريعة لدخول أمريكا وأوربا وأصبحت منطقة الخليج مستعمرة أمريكية صدقت الدول العربية ذلك أم تجاهلته خوفا من آلام الواقع والذى يقول غير ذلك لا يملك عقلا فى جسده ، ويهرب من نفسه . وأصبحت أرض الخليج أسواقا لمنتجات مصانع أعداء الله وإذا اعترضت دولة على شرطى العالم أمريكا جمدت لها أرصدتها كما وقع مع ليبيا وإيران وأصبح مجلس الأمن فى الأمم المتحدة يطبق السياسة الأمريكية وكل دول العالم وراءها مخافة منها .

ولقد سلكت أمريكا فى بسط نفوذها على الأمة الإسلامية مسلكين :

المسلك الأول : أوقع أعداء الله الجارتين المسلمتين الغنيتين العراق وإيران فى حرب ضروس رفع المسلم السلاح فى وجه أخيه المسلم . وزودت دول الخليج المعركة بالوقود . ودفعت الأموال الطائلة للعراق حتى تقضى على ثورة إيران حتى لا تزعزع عروش حكام الخليج واستمرت المعركة ثمانى سنوات نسى الجميع أنهم إخوة فى الدين والعقيدة والقاتل والمقتول فى النار (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار ، قيل فهذا القاتل فما بال المقتول قال إنه أراد قتل صاحبه) (١)

ولقد حذَّر الرسول صلى الله عليه وسلم من ضرب المسلم أخاه المسلم فنهى عن ذلك (عن على بن مدرك سمعت أبا زُرعة بن عمرو بن جرير عن

(١) صحيح البخارى جـ ٩ ص ٦٤

جده جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حَجَّةِ الوداع استنصت الناس ثم قال : لا ترجعوا بعد كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (١)

وانتهت معركة العراق وإيران والتى أشعل نيرانها العراق بقيادة «صدام ابن حسين» وخسروا رجالا وعتادا ولم يفز فيها أحد بل فازت أمريكا وأوربا حيث دمرت دولتان من دول التوحيد . ثم ولى زعيم العراق وجهه شطر دولة عربية مسلمة هى الكويت فدخلها الجيش العراقى واستولى على كل شئ فيها فبدلا من دخول إسرائيل دخل الكويت ويا حسرة على العرب جميعا . وتمالأت على العراق أمريكا وأوربا والعرب ودمرت العراق وعاصمة الأمة الإسلامية سابقاً بغداد ، والغريب والعجيب أن الذى وسوس لحاكم العراق بالدخول إلى الكويت الشيطانة الكبرى أمريكا عن طريق موظفة فى السفارة الأمريكية فى بغداد ، وقدم حاكم العراق مفاتيح كنوز البترول لأمريكا وبريطانيا وسيطرتا على الخليج وهذه الأمور أشار إليها وزير خارجية أمريكا «كسينجر» إبان حرب ثلاث وسبعين حين قطع العرب البترول عن أمريكا وأوربا .

المسلك الثانى :

اتخذت أمريكا من أحداث الحادى عشر من سبتمبر من عام ألفين وواحد من الميلاد . وضرب فيها مبنى المركز التجارى العالمى والبنتاجون –

(١) المرجع السابق ص ٦٤

وزارة الدفاع الأمريكية – في نيويورك انتشلت من تلك الصورات ذريعة لإشعال نيران الحرب على المسلمين وطن ملايينهم وبدأت بأفغانستان ولا ندري ما فعلته أمريكا وأوربا بحزب الله في لبنان لو قُضي عليه لعمت الفضرانية هذة البلد واستأسدت إسرائيل ولا ندري ما تفعل بمنظمة حماس في فلسطين . ولا ندري ما فعلك بالصومال وبالسودان وبقية العالم الإسلامي وهي بهذا بعيد الطريق الوهود ليفعلها بالعرب الأفغيل .

يبقى

نتوقف من حال المسلمين الذين يأتون يوما بعد يوم ليشتركوا على المسجد الأقصى

العابد

يا بني

المسلمون هم الذين فعلوا بأنفسهم ذلك . أغناهم الله بثروات ليست في أمريكا ولا في أوربا . وبعلهم الله أعزة بالكتاب والسنة . فتركوا أوامره لأهل الكتاب وأوصوا أموالهم في بلادهم واستعملوا نعم الله في معاصيه . وتخلفوا عن القرآن والسنة تحليوا القوانين الغربية وهي صناعة البشر وطبقوا من أحكام الإسلام الإرث دون الحدود وغيرها فيستحكون على أنفسهم بغيرما أنزل الله فأذلهم الله .

ولا تخف يا بني فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن كثير من غيب

المستقبل ومنه ما نراه اليوم :

قال عليه السلام (يوشك الأمم أن تتداعى – أى بأن يدعو بعضهم بعضا لقاتلتكم وكسر شوكتكم – عليكم كما تتداعى الأكَلَةُ إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ . قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزِعَنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوَهْن – بفتح الواو وسكون الهاء – قال قائل يا رسول الله وما الوهن . قال : حب الدنيا وكراهية الموت) (١)

ومعنى الحديث أنهم يأخذون ما فى أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم .

وعن أبى هريرة قال : (قال رسول صلى الله عليه وسلم : منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مُدها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه) (٢)

وشرح الإمام النووى الحديث بقوله : إن العجم والروم يستولون على البلاد فى آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين .

(عن زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول : لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب فُتح اليوم

(١) عون المعبود فى شرح أبى داود جـ ١١ ص ٤٠٤ باب فى تداعى الأمم على الإسلام

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٢٠ كتاب الفتن .

من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتى تليها . قالت زينب ابنة جحش فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم . إذا كثر الخبث) (١)

ويفهم من الحديث أن الدائرة التى صنعها الرسول صلى الله عليه وسلم بالإبهام والسبابة ستخرج الفتن على قدرها وستكون فى اتساع إلى أن يخرج يأجوج ومأجوج .

وحين ترتفع أمواج الفتن فى كثير من الأزمان ويبتعد الناس عن دينهم ويتمسك قلة بدينهم فالإسلام يكون فى غربة عن عبد الله بن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) (٢)

(«وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا» قال الطيبى رحمه الله – فى شرح هذا الحديث – قوله «يصبح استئناف بيان لحال المشبَّه وهو قوله «فتنا» وقوله «يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا» بيان للبيان وقال المظهر فيه وجوه :

أحدها : أن يكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب

(١) صحيح البخارى جـ ٩ ص ٧٧ كتاب الفتن باب يأجوج ومأجوج

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ ٧ ص ٣١٨ أبواب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبا

فيستحلون الدم والمال . وثانيها : أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوها . وثالثها : ما يجرى بين الناس مما يخالف الشرع فى المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها) (١)

هذه أمور ظهرت فى زماننا هذا أما الخوف على دين الله فلا تخف فلقد غرست آيات من الذكر الحكيم الطمأنينة فى فؤادى وبددت الخوف والقلق فى قلبى من هذه الآيات :

قال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (٢)

وقال تعالى (وقال الذين كفروا لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكنهن الظالمين ولنسكنكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنبد) (٣)

وقال تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاء . فلا تعجل عليهم إنما نتعد لهم عدا) (٤)

فهذه الآيات وغيرها بثت فى أرجائى وفى كيانى السكينة والطمأنينة .

(١) تحفة الأحوذى جـ ٦ ص ٣٦٤ أبواب الفتن باب ما جاء ستكون فتنة كقطع الليل .

(٢) سورة التوبة آية ٣٢

(٣) سورة إبراهيم آية ١٣ - ١٥

(٤) سورة مريم آية ٨٣ ، ٨٤

ومن جـهـة أخـرى الكون كله له مـدبر يدبره فـلا يطغى أهل الكتـاب من اليـهود والنصـارى على الكرة الأرضـية ولا يسـود الإلحـاد عليـهـا . وأهل التوحيد يدخلون مـع هؤلاء فى معـارك عقائدية وفكرية وحربية وسنة الله تعـالى أن تكون الحرب بينـهما سـجالا قال تعـالى للمؤمنين (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتتموهم فشدوا الوثاق فإمامنا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) (١)

وقال تعـالى (ولولا دفع الله الناس بعضـهم ببعض لفسـدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٢)

أمـا عن إسرائيل فى فلسطين فـهم قوم يهلكون الحرث والنسل ويدمرون المنازل ولا أحـد يردعـهم فـالأم أمريكا تمهد لـهـا والبنت المدللة تعمل فى ظلها وتحت لوائها .

وعندى قناعة بأن انتقام الله للأم وابنتها آت لا ريب فيه لما يأتى :

قـال تعـالى عن بنى إسـرائيل (عسى ربكم أن يرحـمكم وإن عـدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) (٣)

ومعنى الاية لعل ربكم يا بنى إسرائيل يعفو عنكم بعد انتقامه منكم . وان

(١) سورة محمد آية ٤

(٢) سورة البقرة آية ٢٥١

(٣) سورة الإسراء آية ٨

عدتم إلى الإفساد فى الأرض مرة أخرى عدنا إلى صب البلاء عليكم ومنه أن يسلط عليهم من يسوموهم سوء العذاب .

وقال تعالى (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب)(١)

فليسترح بالك فإن الأمور تجرى بمقادير الله عز وجل . واعلم أن الأمة إذا تركت شرع ربها سلط الله عليها عدواً حتى تعود إلى رشدها وتتمسك بكتاب ربها وتعض بنواجذها على سنة رسولها فيكون الانتصار على الأنفس والغرائز والنوازع وعلى أهل الكفر فمع ترك القرآن والسنة الذُّلُّ والهوان وضيق العيش والأمراض النفسية قال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)(٢)

سيدى :

كيف تصبر هذه الأمة عزيزة ؟

يا بنى :

عزها فى طاعة ربها والتمسك بكتابه وتطبيق أحكامه . ففى ظل الإسلام تكون العزة والمنعة لا يضرها من خالفها .

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧

(٢) سورة طه آية ١٢٤ - ١٢٦

سيدى :

كنت تسوق لنا فى جلساتك روحانيات نتلذذ بسماعها ويحفرها حديثك العذب فى قلوبنا لا ينسيها مر السنين ولا كَرّ الدهور . فهل أطمع فى حديث من أحاديثك العذبة التى تُحقِّر الدنيا فى أعيننا وتصغرها فى نظرنا ؟

أجَلْ :

أحدثك عن رجل جاءته الدنيا مقبلة إليه . فتقلب فى متاعها قليلا ثم لم ينشب أن تولى عنها رأبى المُلْكَ ولا غرو فهو ابن ملك من ملوك خرسان . ترك كل شئ وتوارى عن أعين الناس حتى يأكل من عمل يده هذا الرجل هو إبراهيم بن أدهم (١) «كان ابن ملك من ملوك خراسان وكان قد حُبِّبَ إليه الصيد . قال : فخرجت مرة فأسرت ثعلبا فهتف بى هاتف ما لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت . قال : فوقف وقلت : انتهيت . انتهيت . جاءنى نذير من رب العالمين . فرجعت إلى بعض رعاة أبى فأخذت منه جُبة وكساء ثم ألقيت ثيابى إليه ثم أقبلت العراق فعملت بها أياما فلم يَصفُ لى بها الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدنى إلى بلاد الشام فأتيت طرسوس فعملت بها أياما أنظر البساتين - أى أحرسها - وأحصد الحصاد . وكان يقول ما تهنيت بالعيش إلا فى بلاد الشام أفر بدينى من شاهق إلى شاهق ومن جبل إلى جبل ثم دخل البادية ودخل

(١) كل ما ورد عن إبراهيم بن أدهم فى هذا المقام معظم مرجعه إلى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير جـ ١٠ من ص ١٢٥ إلى ص ١٤٥ . وما ورد من مرجع آخر سأنوه به وأذكره

مكة فصحب الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها » ويقول ابن أدهم « أقمت بالشام أربعا وعشرين سنة لم أقم بها لجهاد ولا لرباط إنما نزلتها لأشبع من خبز حلال» .

وهو بهذا يكون قد تحرى الحلال وآثر أن يأكل من عمل يده .

يقول : بشرالحافى «أربعة رفعهم الله بطيب المطعم : إبراهيم بن أدهم . وسليمان الخوَّاص . ر وهيب بن الورد . ويوسف بن أسباط»

وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حفص قال إنما سمع إبراهيم بن أدهم حديثا واحدا فأخذ به فَسَادَ أهل زمانه . قال : حدثنا منصور عن ربعى بن حراش قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله دُلَّنى على عمل يحبنى الله عليه ويحبنى الناس . قال : إذا أردت أن يحبك الله فابغض الدنيا وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فانبذه إليهم »

أدرك إبراهيم بن أدهم أن عمر الإنسان قليل . فصرف وقته وعمره فى العبادة مدركا أن العز فى طاعة الله وهذه فلسفته فكان يكثر من الدعاء فيقول «اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك»

ولإبراهيم فلسفته فى الفقر والفقراء فعنده أن الغنى بلاء كالفقراء لقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخيرفتنة وإلينا ترجعون)(١)

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥

قال «ماذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء»

من أقوال إبراهيم بن أدهم :

قال : «الزهد ثلاثة : واجب ومستحب وزهد سلامة : فأما الواجب فالزهد فى الحرام . والزهد عن الشهوات الحلال مستحب والزهد عن الشبهات سلامة» وقال : «قلةُ الحرص والطمع تورث الصدق والورع . وكثرة الحرص والطمع تورث الغم والجزع» .

وقال : «فروا من الناس كفراركم من الأسد الضارى ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة»

وقال له رجل : هذه جبة أُحب أن تقبلها منى فقال : إن كنت غنيا قبلتها . وإن كنت فقيرا لم أقبلها . قال أنا غنى .قال كم عندك ؟ قال ألفان . قال : تود أن تكون أربعة ؟ قال : نعم . قال : فأنت فقير لا أقبلها منك» وقيل له: «لو تزوجت ؟ فقال : لو أمكننى أن أطلق نفسى لطلقتها»

وقال : «إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق فى قلبك والاشتغال عن عيوبهم بذنبك وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل»

وقال : فكّر فى ذنبك . وتب إلى ربك . ينبت الورع فى قلبك . واقطع الطمع إلا من ربك»

وقال : «كل سلطان لا يكون عادلا فهو واللص بمنزلة واحدة . وكل عالم لا يكون ورعا فهو والذئب بمنزلة واحدة . وكل من خدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة »

كتب إلى سفيان الثورى «من عرف ما يطلب . هان عليه ما يبذل . ومن أطلق بصره . طال أسفه . ومن أطلق أمله ساء عمله . ومن أطلق لسانه قتل نفسه»

وقال : «ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك . ذم مولانا الدنيا فمدحناها . وزهدنا فيها فآثرناها ورغبنا فى طلبها. ووعدكم خراب الدنيا فَحصَّنتموها . ونهاكم عن طلبها فطلبتموها وأنذركم الكنوز فكنزتموها . دعتكم إلى هذه الغرَّارة دواعيها . فأجبتم مسرعين مناديها . خدعتكم بغرورها . ومنَّتكم فانقدتم خاضعين لأمانيها . تتمرغون فى زهراتها وزخارفها . تتنعمون فى لذاتها . وتتقلبون فى شهواتها . وتتلوثون بتبعاتها . تتبشون بمخالب الحرص عن خزائنها . وتحفرون بمعاول الطمع فى معادنها»

من أفعال إبراهيم بن أدهم :

«مكث بمكة خمسة عشر يوما لا شئ له ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة . وأكَلَ يوميا على حافة الشريعة (١) كسيرات مبلولة . وضعها بين يديه أبو يوسف الغسولى فأكل

(١) الشرعة : بالكسر : الدين . والشرع والشريعة منه مأخوذ من الشريعة وهى مورد الناس للاستقاء وسميت بذلك لوضوحها وجمعها أشراع. وشرع لنا كذا يشرعه أظهره وأوضحه : المصباح المنير مادة : شرع ص ٣١٠

منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم جاء واستلقى على قفاه . وقال : يا أبا يوسف : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش . فقال له : أبو يوسف : طلب القوم الراحة والنعيم – أى طلب الناس الغنى – فأخطأوا الطريق المستقيم .

فتبسم إبراهيم وقال : من أين لك هذا الكلام»

«رآه الأوزاعى رضى الله عنه ببيروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال : يا أبا إسحاق إن أصحابك يكفونك هذا فقال له أسكت يا أبا عمرو فقد بلغنى أنه إذا وقف الرجل موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة»

و«خرج ابن أدهم من بيت المقدس فمر بطريق فأخذته المُسلَّحَةُ فى الطريق. فقالوا أنت عبد ؟ قال : نعم . قالوا آبق ؟ قال : نعم . فسجنوه فبلغ أهل بيت المقدس خبره فجاءوا برمتهم إلى نائب طبرية فقالوا : علام سجنت إبراهيم بن أدهم ؟ فقال : ما سجنته . قالوا بلى . هو فى سجنك. فاستحضره فقال : علام سُجنتَ فقال : سل المسلَّحةَ . قالوا : أنت عبد ؟ قلت : نعم . وأنا عبد الله . قالوا آبق ؟ قلت نعم . وأنا عبد آبق من ذنوبى فخلى سبيله »

بعض كرامات الله لإبراهيم بن أدهم :

«قال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه خلا لى الطواف ليلة وكانت ليلة

مطيرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا فهتف بى هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون منى ذلك . فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر» (١)

وذكروا أنه مر مع رفقة فإذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن أدهم فقال : يا قسورة إن كنت أُمرتَ فينا بشئ فامض لما أمرت به وإلا فعودك على بدنك . قالوا فولى السبع ذاهبا يضرب بذنبه ثم أقبل علينا إباهيم فقال : قولوا اللهم راعنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بكنفك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا ألله يا ألله يا ألله »

و «ركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إباهيم رأسه بكسائه واضطجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء وأيقظوه وقالوا : ألا ترى ما نحن فيه من الشدة فقال : ليس هذه شدة : إنما الشدة الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فصار البحر كأنه قدح زيت »

و « طالبه صاحب سفينة بأجرة حمله دينارين وألحَّ عليه فقال له : اذهب معى حتى أعطيك دناريك فأتى به إلى جزيرة فى البحر فتوضأ إبراهيم وصلَّى ركعتين ودعا وإذا ما حوله قد ملئ دنانير . فقال له : خذ حقك ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد»

(١) إحياء علوم الدين : للإمام الغزالى جـ ٣ ص ١٤٩

إسلام نصرانى :

«قال : حذيفة المرعشى : أويت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئا فقال لى : كأنك جائع . قلت: نعم . فأخذ رقعة فكتب فيها :بسم الله الرحمن الرحيم"

أنت المقصود إليه بكل حال . المشار إليه بكل معنى :

أنا حـامدٌ أنا ذاكرٌ أنا شاكرٌ ∴ أنا جائع أنا حاسر أنا عارى

هى ستة وأنا الضمينُ لنصفها ∴ فكنِ الضمينِ لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك وهجُ نارٍ خُضتُها ∴ فأجِرْ عبيدَك مِن دخول النـارِ

ثم قال لى : اخرج بهذه الرقعة ولا تعلّق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه . فخرجت فإذا رجل على بغلة فدفعتها إليه فلما قرأها بكى . ودفع إلىَّ ستمائة دينار وانصرف فسألت رجلا مَن هذا الذى على البغلة فقالوا هو رجل نصرانى . فجئت إبراهيم فأخبرته فقال : الآن يجئ فيسلم . فما كان غير قريب حتى جاء فأكبَّ على رأس إبراهيم وأسلم»

قال العابد :

هذا يا بنى عالم عابد زاهد خائف يدل كلامه لحذيفة « لا تعلّق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى» على أنه بلغ أعلى مراتب التقوى وهى ثلاث مراتب

الأولى : التقوى العامة : وهى اتقاء الشرك بالإيمان .

الثانية : تقوى الخاصة : وهى ترك المعاصى . وهى أعلى من الأولى .

الثالثة : تقوى خاصة الخاصة : وهى ترك الأغيار أى ترك كل ما يشغل

عن الله . وهذه المرتبة أعلى من الثانية فغير الله لا يلتفت إليه ولا يجول بخاطر صاحب هذه المرتبة وهى التى أشار إليها أحدهم بقوله :

ولَوْ خَطَرتْ لى فى سواك إرادةٌ ∴ على خاطرى يوماً حكمتُ بردّتى

نظر العابد إلىَّ نظرة فهمت أنه يريد أن لا يتكلم بعدها فاستأذنته فى الرحيل فأذن فى العودة إلى دنيانا نطارحها الغرام ونتغزل فى زينتها وحللها . ونشرب خمرها بعد أن أكثرنا من الشراب فأدمنَّا حبها وثملنا . فطال سكرنا بخمرها فلا نُفيق إلا عند الموت ولقاء الله عز وجل .

انصرفت بعد وداعه لى وأنا فى منتصف حديقة منزله نادى علىَّ فتوقفت عن السير فأتانى بتؤدة و وقف على مقربة منى فقال لى يا شيخ التفسير قلت نعم : قال لى هذه أبيات لشوقى رحمه الله يشكو لربه ما أصاب المسلمين من تخلف وتأخر فى الوقت الذى تقدمت فيه شعوب كثيرة بعد تخلفها ونهضت بعد كبوتها ورضى المسلمون بهوانهم . فاحفظ تلك الأبيات وهى دعاء فهى آخر ما تكتبه :

يا ربِّ هبَّت شعوبٌ من منيَّتها ... واستيقظتْ أُمَمٌ من رقدةِ العَدمِ (١)

سَعْدٌ ونَحْسٌ ومِلْكٌ أنت مَالِكُهُ ... تُدِيلُ من نِعَمٍ فيه ومِن نِقَمِ (٢)

أى قضاؤكَ فينا رأىَ حكمته ... أكْرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقمِ

فالطف لأجلِ رسول المسلمين بِنَا ... ولا تَزِد قومَه خَسْفاً ولا تَسُمِ (٣)

يا ربِّ أحسنتَ بدءَ المسلمينَ بهِ ... فَتَمِّم الفضلَ وامنحْ حُسنَ مُخْتَتَمِ

وصلَى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) هبَّت : تنبه . المنيَّة : الموت . رقدة العدم : الموت

(٢) تديل : تُغيِّر من حال إلى حال

(٣) الخسف : الهلاك أو الذُّل . تسُم : من سامه العذاب إذا أوقعه به «يسومونكم سوء العذاب»